

المسرح دعوة ضد الانسجام مع الواقع

المخرج التونسي صالح الفالح: الكتابة والإخراج ليسا ترفا



الفن هو ما يجعل الحياة محتمة



المسرح هو فن الشعر

هنا والآن. توفير كل ما هو لوجستي وموارد مالية وبشرية مختصة. إن الفن هو ما يجعل الحياة محتمة، وبإمكان المسرح والفنون عامة أن يغيرا وجه المدينة ويزرع قيم الحياة والفرحة والسعادة. قد تصبح هذه المدن مدن الحفل والخروج إلى الفعل الجماعي. أين يوجد التكافل والتعاون والحب. أين لا يجوع الإنسان ولا يتألم مريض أو مسن. بإمكان الفن أن يزرع قيم الخير ويحث عليها ويحارب الأنانية والجشع والفساد فالمسرح هو دعوة للحياة. لقد جئت إلى سليانة حاملا، مغفيرا ومنفتحا. أريد أن يتحرك الكل من أجل الفعل الثقافي، مؤسسات وجمعيات وأفراد وأهالي المدينة. لقاء جامع للتحادات والتأقاف والفعل. فالمرکز ليس إنتاج مسرحيات هو أكبر من ذلك بكثير فالانتظارات أكبر (تشغيل، إبداع وتنشيط). نحن نلجأ إلى الأصدقاء والفاعلين في هذا القطاع للمساهمة في الفعل المسرحي وتحقيق خصوصية للتجربة، وخاصة أنها تأسيسيّة على الأرض.

الزينة والإخفاء والمركزية. لذلك حان الوقت لجعل فكرة اللامركزية واقعا حقيقيا وليس شعاعا جعل هذه المدن الداخلية تستقطب الحياة لا منفرة لسكانها. خاصة وأنها تملك كل المقومات الطبيعية والتاريخية والاقتصادية والثقافية والبشرية.

الفن بإمكانه أن يزرع قيم الخير ويحث عليها ويحارب الأنانية والجشع والفساد، فالمسرح هو دعوة للحياة

لذلك قد تكون فكرة المحليات أحد الحلول للنهوض بهذه "المدن الميتة"، وقد يكون الفعل الثقافي إحدى ركائز التغيير وجعل الحياة ممكنة هنا في الداخل. لذلك يصبح من الضروري الاستعجال في خلق وتوفير ظروف عمل تواكب انتظارات الناس وأحلام الفنان

المركز هو تأسيس لفكرة المجموعة وإعادة الاعتبار لها، باعتبار أن المسرح هو تعايش الأفراد والأفكار والألوان. فهو إطار استيعاب للمعاني والأنساق المتنوعة أي الأفكار الحرة. هو مجال يستأنس له الشباب فكرا وطاقة وعواطف.

المركز أيضا أكاديمية مفتوحة أبوابها للبحث والمختبرات والتوثيق والدراسات والإنتاجات يدخلها السك، وأيضا تنتقل إليهم باعتبارها فكرة تبحث عن مساحة في عقل المتلقي وإحساسه. لذلك فهي مشروع مجتمعي. هكذا المركز هو افتراض وحتمية للتحقق.

سليانة كأغلب المحافظات التونسية عرفت تاريخيا من التهميش والنسيان وغياب الدولة، باعتبار أن السياسات السابقة والمنتالية هي سياسات

وضرورة ذاتية وموضوعية تجعلك أنتي الأنا الأنت والآخر الهم، عدد متحول. إن الكتابة والإخراج ليسا ترفا وإنما حياة وموت، مجامعة كاملة، امتلاك كامل، حلول وانصهار تام من أجل إنتاج المعنى.

المسرح والشعر

■ **العرب:** من الماكرون إلى حين رأيتك، شهادتك ناقدًا اجتماعيا وسياسيا جريئا، ما علاقة المسرح بالسياسة؟

■ **صالح الفالح:** على المسرحي أن يكون في الصف الأول، أن يواجه، أن لا يهادن، لا يتلاعب. مهمته أن يطرح الاستعجالي الملح، والمسكوت عنه، أن يشارك في الصراع الاجتماعي الطبقي أن يوضح الأسباب ويفضح المتسبب، أن يكتشف الغايات ويفسر العلاقات بين الأشياء. لذلك عليه أن يقدم قراءته، أن يفك الأشياء، ألا يكون وصيا وسلطويا، بل محررا للفكر وداعما للحرية ومساعدا للحقوق والمواطنة. لهذا يكون متصادما جريئا ناقدًا، من أجل فعل التغيير والبناء والعدالة، كذلك هو المسرح مشروع الإنسان للإنسان.

■ **العرب:** أعمالك تتميز بشعرية عالية، ما علاقة المسرح بالشعر؟

■ **صالح الفالح:** المسرح هو فن الشعر، المسرحي هو شاعر يهيم في واديه، شاعر تراجمي، كوميدي.

صديقي يعجبني شعرك كثيرا، هو شعر رصاصة، ينبه للحياة، للروائح، للحيوانات، للضوء، للألوان، للظل، للأجسام، للذات، للآخر، للمجموعة، للذاتيات والشاعر، للحب، للجوع، للنهاية والبدائية. شعر يسرد يحكي، يركب الأشياء، يكشف خلجات الذات والنفس. قصيدة القطة: تموء وتنبش القمامة بحثا عن الطعام، هي بسيطة وعميقة وغير مالوفة، تجعلك تقف للحظة. كذلك هو المسرح يظل دائما شعرا حتى في أقصى حالاته الاجتماعية.

استيقاظ الحالمين

■ **العرب:** هل المسرح التونسي في أزمة اليوم؟

■ **صالح الفالح:** الأزمة لا تنتهي أبدا هنا... هنا بلد الأزمة، حيث التعفن بلغ أقصاه، إنها أزمة وطن، أزمة مواطنة، أزمة شاملة، قوانين وتشريعات، قيم استراتيجيات، مجموعات، أفراد، متقبل، في ظل صعوبة في التشخيص. هي أزمة متواصلة داخلية ومستوردة هي أزمة متقلبة ومتحولة ومتلونة والحوال هنا ترقية مناقضة ومتضادة، لأنها حلول جهة أو مجموعة، ليس هناك مشروع للإنسان الحر ووجوده في العالم، هناك فقط صراعات، الكل يريد التخلص من الباقي ولاشيء على الأرض من المسرح والفن والحياة. لا أمل إلا باستيقاظ الحالمين جميعهم.

المسرح للتغيير

■ **العرب:** انطلقت على رأس إدارة مركز الفنون الدرامية والركحية بمحافظة سليانة، أي مشروع تحاول تأسيسه في تلك المدينة العريقة والمهمشة؟ ما هي العراقيل التي تواجهكم على رأس المؤسسة وكيف يمكن تجاوزها؟ هل يمكن للمسرح تغيير وجه المدينة أو ترميمه؟

■ **صالح الفالح:** المركز هو الفكرة، المشروع، يحدث ليكون الاجتماع حولها، فيكون الفعل والعمل والبحث والأثر.

■ **صالح الفالح:** أنت في هذا السياق المخرج المؤلف، تصارع نصك وتفاوضه، لا تغفل عنه، تجادله، تفجر دقائقه، ترتفع به إلى درجة القول والبوح، تجعله إنسانيا وحيا، وهذا ليس جيدا وغريبا عن المسرح. فالجمع قديم قدم المسرح، وهو خيار واختيار.

عرف المسرح التونسي الكثير من التجارب التي طورت منه وجعلته يرتقي إلى مراتب هامة في خارطة المسرح عربيا وعالميا، ولكن يحصر الكثيرون ذروة نضج المسرح التونسي في تجربة فرقة المسرح الجديد وأشهر رموزها الفاضل الجعايي والفاضل الجزيري والحبيب المسروقي ومحمد إدريس وغيرهم، ممن كان وما زال لهم تأثير كبير على المسرح التونسي. بينما يغفل الكثيرون أجيالا أخرى لاحقة لتجربة المسرح الجديد، ما زالت تخط تجارب مسرحية مختلفة وتحفر في مناطق جديدة رغم قسوة المشهد الثقافي الذي يحتد عاما فآخر في تونس. "العرب" كان لها هذا الحوار مع المخرج التونسي صالح الفالح، الذي يعتبر من أهم التجارب المسرحية التي لها بصمتها في الساحة المسرحية.

يدعو إليه المسرح البرجوازي الذي يغيبك.

المسرح ولد في المدينة وارتبط بها، وفي الريف ارتبط بالحقل. الريف يفقر لكل وسائل الترفيه، وتونس في حقيقتها هي مدينة ريف، أنت ذاك الذي نزل في ما مضى منذ زمن من الجبل، الهضاب، الأودية، المنازل المتفرقة وسوق الدواب، أين الوجوه الشاحبة والحزينة، أين قسوة الطبيعة وبردها وحزنها وغضبها، أين قصص الأمهات والجدات وشعر وأغانى الأعراس. ورقص الرجال وتقصفهم لأدوار النساء، أين الحلم بالحب والمضاجعة والعريضة والسكر حتى الفجر. وشح المعرفة وغياب الدولة هناك.

على المسرحي أن يكون في الصف الأول، أن يواجه ولا يهادن أو يتلاعب فهمته أن يطرح الاستعجالي الملح

قدمت من هناك إلى المدينة "العاصمة" أين تتوفر إمكانيات تحقق الأفعال والأحلام، في مدينة لا يهدأ اكتفاؤها. زخم نساء جميلات، حانات كثيرة، مكتبات، نواد، جامعات، حركة متواصلة. في نهايتها تجدها ضيقة صغيرة، ريف آخر، لذلك هي مدينة ريف. عدد ضئيل ومخجل للمسارح والمتاحف والحدائق، هي مدينة إدارة.

يشارك الريف فتسكنك المدينة الريف. فياتسي الخطاب مراوحة بينهما تذكرنا وثورة، انتفاضة من أجل أفق أوسع، مدينة أنوار، هكذا المسرح لا ينفلت من كل هذا.

■ **العرب:** الكتابة للمسرح هل هي أدب؟

■ **صالح الفالح:** الكتابة المسرحية هي جنس أو شكل من أشكال الأدب يختلف عن بقية الأجناس إن يشترط على النص أو المسرحية أن يقدم على خشبة أمام المتفرج، لذلك هو أدب يراد به التمثيل والتشخيص لا يكتب ليقرأ فحسب، والآن تجاوز المسرح المعاصر مسألة حضور النص من عدمه، باعتبار أن مفهوم النص تحول من كونه الحوار والمفوض إلى نص كلوحة منتجة للمعنى بما فيها من السوان وحركة وطاقة. وبالتالي فإن النص هو كل ما يقوله العرض ويشير إليه.

■ **العرب:** الجمع بين الكتابة والإخراج هل يضر بالعمل؟

■ **صالح الفالح:** أنت تكتب مشروعك، تخطط له ترسم بيانا عنه، تقدم رؤيتك وحساسيتك، ذاتك المتداخلة المتشابكة المتعددة والمتناقضة.

أنت في هذا السياق المخرج المؤلف، تصارع نصك وتفاوضه، لا تغفل عنه، تجادله، تفجر دقائقه، ترتفع به إلى درجة القول والبوح، تجعله إنسانيا وحيا، وهذا ليس جيدا وغريبا عن المسرح. فالجمع قديم قدم المسرح، وهو خيار واختيار.



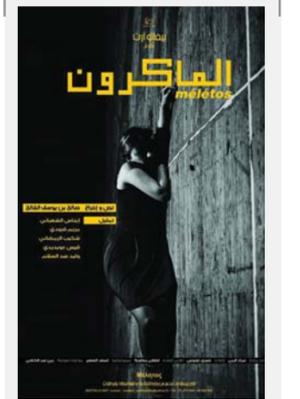
محمد ناصر المولهي كاتب تونسي

يجمع التونسيون اليوم على أن المسرح التونسي يواجه مشاكل كثيرة قد تهدده في جوهره، ولعل أبرزها إشكاليات التلقي، حيث يتقلص جمهور المسرح عاما فآخر، بينما يتراجع مستوى الأعمال في ظل شح الإمكانيات والموارد.

كل العقبات من الممكن تخطيها عبر الوعي والحلم والعمل الفردي والجماعي، وهو ما يؤمن به المخرج المسرحي صالح الفالح، الذي تمكن عبر مسرحيات متنوعة، من "رسالة إلى أمي" إلى "البيست زينة" إلى "الماكرون" وبعدها عمله "حين رأيتك"، من ترسيخ بصمة خاصة له كتجربة مختلفة عن نظائرها، تجربة تقوم على رؤية فنية وفكرية وسياسية للعالم.

■ **العرب:** مسرحك قائم على التذكر والتقد السياسي والوقوف بين الريف والمدينة.. أي مسرح يحلم به صالح الفالح؟

■ **صالح الفالح:** التذكر هو المعرفة والوعي بالضرورة التاريخية، والنسيان هو الجهل. المعيش الآن والهنا غير مفصول عن الماضي والسابق واللحظات السابقة تشكل هذا الوجود الموجود، أيضا يعتبر التذكر بالنسبة إلى عملي حفرا في الذات، وذهابا إلى الأعماق.



«الماكرون» مسرحية تتميز بشعرية عالية وترسخ علاقة المسرح الوطيدة بالسياسة وبالقضايا النضالية من أجل حرية الإنسان وكرامته

التذكر رحلة إلى الصوت الخفي، الإنسان الأول. البحث عن مشاعر صافية بمعنى بياض. بحث عن مساحة أخرى لم يشتغل عليها.. إنه رحلة في الكائن. المسرح هو فعل سياسي بدرجة أولى؛ إنك تعزي، تفضح، تحاجج، تشكل، ترفض. أنت تقف ضد الظلم والاستغلال، تنتصر للحق، تجعل البديهي غريبا وغير مالوف، وبالتالي تدعو إلى التفكير وعدم القبول بالمسلّمات. دعوة ضد الانسجام مع الواقع، لأن الانسجام فعل يغيب العقل لفائدة ملكة أخرى وهي الخيال والخيالي هو الذي

المسرح المعاصر تجاوز مسألة حضور النص، وتحول مفهوم النص من الحوار والمفوض إلى اللوحة منتجة للمعنى